الخلاصة

نأمل أن تكون رسالتنا قد اتضحت حتى الآن، وهي أن على عملية التعرُّف إلى الطلاب الموهوبين أن تطابق بين التدريس والمحتوى من جهة، وبين احتياجات الطلاب من جهة أخرى، وإذا جاء الوقت الذي يجري فيه تقويم احتياجات الطالب وتلبيتها – في عالم التمايز المثالي – فسوف تتوقف الحاجة إلى برامج تعليم الموهوبين أو المقررات المتقدمة، وإلى أن يحين ذلك الوقت فسوف نظل بحاجة إلى برامج خاصة بالطلاب الاستثنائيين على طرفي طيف القدرات، ومثلما ناقشنا بالتفصيل في الفصلين الأول والثاني، فإن ما يعنيه مصطلح (الحاجة) مسألة شديدة التعقيد؛ إنها تشمل فهم المستوى الحالي لإتقان الطفل ومعرفة بالمنهاج (القياسي) الحالي، والى أي مدى يستطيع المعلم تدريس ذلك المنهاج بأسلوب متمايز. ومهما كان الطلاب متقدمين، وبصرف النظر عن مدى المنهاج العادي أو مواهب المعلمين، فسوف نجد دائمًا بعض الطلاب في كل مدرسة من الذين لا يلبي هذا المنهاج احتياجاتهم. ونتيجة لتنوع الطلاب في المدارس ونتيجة لضروب التنوع الكثيرة المختلفة، تبرز الحاجة إلى جمع بيانات كثيرة من أجل تنفيذ عملية تدريس فاعلة.

في خبر نشرته صحيفة نيويورك تايمز (Anderson،2013)، ناقش الكاتب وضعًا سائدًا في المدارس العامة في مدينة نيويورك؛ حيث ينفق الأغنياء مبالغ طائلة لإعداد أطفالهم من عمر أربع سنوات لاختبار قبول الأطفال الموهوبين؛ كان هؤلاء الأطفال يقضون ساعات كل أسبوع وهم يدرسون ويتدربون حتى يصنفوا ضمن فئة الموهوبين، وكانت النتيجة زيادة كبيرة في درجات الاختبار العالية، بالتأكيد بعض أولياء الأمور المهتمين أرادوا فقط إلحاق أطفالهم بأفضل المدارس، لكننا شاهدنا أيضًا حالات مشابهة أراد فيها أولياء الأمور أن يجعلوا أطفالهم موهوبين، ومثل هذه الحالة توضح نقطة مهمة نود التركيز عليها، وهي أن عملية التعرُّف على الموهوبين أو التصنيف لا معنى لها؛ إن على المعلمين وأولياء الأمور

أن يتأكدوا إن كان المحتوى أو الإلحاق الحالي يلبي احتياجات الطالب التعليمية. وكما قلنا سابقًا في الفصل الأول، فإن المهم هو أن تلبي برامج الموهوبين أو المقررات المتقدمة هذه الاحتياجات؛ فإذا وجدت حاجة على الطرف المتقدم من طيف المحتوى، فهذا يعني الحاجة إلى تقديم نوع من الخدمات، أما نظام التسمية أو التعرف فيكون مهمًا فقط بالقدر الذي يساعد فيه المعلمين على تحديد تلك الحاجة وتلبيتها؛ فإذا كانت المدارس تعتمد اختبارًا أو نظام تقويم، لكن ذلك لا يؤدي إلى زيادة في تعلم الطالب، فعندها ينتفي المبرر لوجود مثل هذا الاختبار أو النظام، وينطبق الشيء نفسه على برامج الموهوبين أو المقررات المتقدمة؛ حيث يستعمل المعلمون وصناع السياسات التقويم وتعرف المواهب لاتخاذ أفضل القرارات التعليمية؛ إن على عملية تعرف المواهب أن تساعد على اتخاذ قرارات فاعلة حيال التدريس، وعلى المعنيين بالتعليم جميعًا أن يتذكروا ذلك دائمًا حتى لا يتيهوا ويبدؤوا مرة أخرى بالتركيز على التسميات لذاتها.

نحن نعتقد بناءً على خبرتنا الشخصية أن النقاشات مع أولياء أمور الطلاب الموهوبين والنابغين لبحث كيفية تلبية احتياجات هؤلاء الطلاب، أسهل بكثير من النقاشات التي تتعلق بـ (الموهبة)، إن سؤال أحد أولياء الأمور بالقول «إن ابني قد حصل على المئين (99) في القراءة، فكيف تتعاملون معه في قاعة الصف؟» يحمل معنى مباشرًا أكثر من القول «إن ابني موهوب، فيكف ستتصرفون حيال ذلك؟» ويوفر السؤال أيضًا بيانات تشخيصية محددة في موضوع دراسي بعينه، ويمكن أن تكون بداية لوضع برنامج أكاديمي متقدم. إن مفهوم الموهبة مفهوم معقد ويفسر بطرق مختلفة كثيرة، ويثير أيضًا قضايا سياسية عديدة عن العرق والمساواة لا تؤدي إلا إلى حرمان بعض الطلاب من تلقّي التعليم المناسب. والنقطة الأخيرة التي نود تأكيدها أنه يتعين عدم حصر البرامج المصممة لخدمة الطلاب النابغين أو الموهوبين في البرامج الأكاديمية الطابع. لقد ركزنا في هذا الكتاب على تلك المهارات والمجالات لأنها الأكثر شيوعًا في المدارس، وهذا لا يعني أن أي مدرسة أو منطقة تعليمية لا تستطيع اتخاذ قرار بتقديم مقررات متقدمة في الزراعة-مثلًا- بسبب قيم المجتمع المحلي ومدى احتياجات الطلاب وقدراتهم، فحتى القوانين الرسمية تتمتع بمرونة فيما يتعلق بنطاق المجالات التي تعالجها برامج الموهوبين، وينطبق هذا أيضًا على الفئة الأوسع

من هذه البرامج التي نسميها المقررات المتقدمة؛ لذلك يتعين تشجيع المدارس على ارتياد هذه المجالات التي قد تكون جديدة بالنسبة إلى الطلاب بالطريقة التي تراها مناسبة، شريطة أن تكون أنظمة تعرف الطلاب ذوي الاحتياجات مصممة بطريقة جيدة ومرتبطة بالبرنامج بقوة.

ومثلما قلنا في بداية هذا الكتاب، فنحن لم نهدف إلى فرض عملية أو برنامج معلّب لتعليم الموهوبين، ولا حتى برامج الخدمات المقدمة لهم؛ إن الهدف الرئيس من هذا الكتاب هو إظهار الحالة التي وصل إليها تعليم الموهوبين، وكيف باعتقادنا ينبغي أن يتغير ليتسنى له خدمة الطلاب الموهوبين والنابغين على أفضل وجه وإضافة إلى ذلك أوضحنا في الفصل الرابع أن هذا الهدف لا يتحقق من فراغ، فمن دون التطبيق المنتظم للتدريس المتمايز في كل غرفة من غرف الصفوف، سوف يحتاج مزيد من الطلاب إلى برامج تكميلية على طرفي طيف التحصيل؛ لهذا السبب يتعين تصميم الأنظمة التربوية من مرحلة الروضة – صف (الثاني عشر)؛ بحيث تؤخذ احتياجات الطلاب في الحسبان دائمًا عند اتخاذ قرارات تتعلق بالتدريس. ونحن نأمل أن ينجح تصورنا لنظام تعرف المواهب من أجل تقويم احتياجات الطلاب وتقديم برامج متقدمة لهم، في توفير منظور للمعلمين والإداريين الذين يرغبون في إعداد برامج أكاديمية متقدمة يمكن الدفاع عنها، والارتقاء بالتحصيل الدراسي للطلاب جميعًا.

* * *